حجاجيات الخطاب الروائيّ
عند عزيز السيد جاسم

الباحثة/ ندى هاشم عبدالله

جامعة بغداد- كلية التربية / ابن رشد

أ.م.د. نعمة دهش الطائي

جامعة بغداد- كلية التربية / ابن رشد

الملخص:

يعدّ مبحث الحجاج من أهم مباحث تحليل الخطاب في العصر الحديث، غير أنَّ مفهومه متداخل يعسر على المتلقي حصره والإحاطة به؛ لأنَّه يتميّز بكثرة العلوم المعرفيّة التي تتداوله, وتعدد روافد تكوينه من فلسفةٍ ومنطقٍ وتداولٍ, وغيرها من العلوم؛ لكن هذا لا يمنع من حصر مفهومه في النظرية الغربيّة الحديثة التي تناولها المنظّرون الغربيّون من جانبين؛ جانبٌ تداوليٌّ ظهر في أعمال أوزوالد ديكرو, وجانبٌ بلاغيٌّ مع الباحث شايم بيرلمان؛ إذ وضع هذان العالمان أسس النظريّة الحجاجيّة على الرغم من اختلاف توجههما، مستفيدين من جذوره القديمة التي تمتد إلى (أرسطو) الذي أرسى دعائمه، وإذ أفاد الدرس الحجاجيّ الحديث من التراث اليونانيّ القديم، فحاول بعثه من جديد على وفق منهجٍ لسانيٍّ معاصر ألا وهو النظريّة الحجاجيّة.

Abstract:

The subject of pilgrims is one of the most important topics of discourse analysis in the modern era. However, its concept is overlapping and difficult for the recipient to confine and surround. It is characterized by the abundance of cognitive sciences that are deliberated, and the multiple tributaries of its composition of philosophy, logic and deliberation and other sciences; In the modern Western theory, which was addressed by Western theorists on two sides; a deliberative aspect appeared in the work of Oswald Decro, and a rhetorical side with the scholar Schaeem Perlman. These two worlds laid the foundations of the Haggarian theory despite their different directions, taking advantage of its ancient roots extending to Aristotle, Laid down The pillars of the modern pilgrimage lesson of the ancient Greek heritage, he tried to resurrect it according to a contemporary linguistic approach, namely the theory of pilgrimage. .

المدخل:

يعدُّ الحجاج الآلية الأبرز التي يستعملها المرسل عبر لغة ما, ممثلًا فيها استراتيجية الإقناع، فالحجاج:" كلُّ منطوقٍ به موجّه إلى الغير؛ لإفهامه دعوىً مخصوصة، يحقَّ له الاعتراض عليها "[١], في حين يرى بيرلمان الحجاج بأنَّه دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم[٢], فهذا التعريف يقع في صميم الخطاب الاقناعيّ, فهو يؤكد ضرورة التأثير في المتلقي, والسيطرة عليه عبر الوسائل المستعملة في الحجاج, وبهذا يؤدي الحجاج أثرًا بالغًا في تحليل الخِطاب؛ ذلك أنَّ مجالَه الوحيد هو الخِطاب، بمختلف أشكاله: الإشهاري، والسياسيّ، والقضائيّ، والتربويّ، والدينيّ وغيرها, ذلك أنّ الخِطاب، بكل أدواته وتقنياتِه وآلياتِه، يشتغل حِجاجيًا، من أجل غاية واحدة، هي "الإقناع فالاقتناع"؛ ويُعدُّ هذا دليلًا كافيًا على قدرة الحِجاج في تحقيق الانسجام (Coherence) التامّ له، وهذا –من غير شكٍّ– مبتغى تحليل الخِطاب[٣].

إنَّ الخطاب الروائيّ في عمومه خطاب حجاجيّ, يعتمد في الأساس على عدة آليات؛ بغية إقناع المتلقين في الخطاب, وتمرير كثير من الدعوى والحجج الصريحة والضمنية, وليس خطاب عزيز السيد جاسم بغريب عن ذلك, فقد عمل على إيصال ما يريد للمتلقين كرفضه لنظام الحكم, وإثارة الجماهير من أجل التغيير, وذلك باستمالتهم وإقناعهم عبر آليات شبه منطقية وبلاغية, وهذا ما تناوله في عدة آليات حجاجية, هي:

أولًا/ آليات الإقناع والاستمالة:

الإقناع عميلة كلامية تستهدف التأثير العقليّ والعاطفيّ في المتلقي قصد تفاعله إيجابيًا مع الخطاب, ويتنج عنه عملية الاقتناع, فهو فعل الأثر الناجم عن

عملية الإقناع لدى المتلقي متى توافرت الظروف, وتهيأت من لدن المتكلم (المقنع) فيحدث الانسجام بين الرغبة الذاتية, والإمكانات المتاحة, والهدف المطلوب[٤], ويمكن القول: إنَّ الإقناع جهد تواصليّ بالدرجة الأولى مؤسَّس على قصد, ومخطَّط له سلفًا على وفق أهداف معينة؛ لاستمالة المتلقي, وتعديل سلوكه, ومواقفه الشخصية في ظروف مقامية معينة, ولمّا كان الإقناع جهدًا لغويًا مقصودًا مؤسَّسًا على استراتيجية منطقية دلالية, وآليات لغوية, وبلاغية معينة للإقناع والتأثير في المتلقي, فإنه لا يتحقق فعل إنجازيّ موفق إلّا إذا كان المتكلم يمتلك كفاية تواصلية إقناعية متميزة يكون نتاجها كسب تأييد الآخرين لرأيه[٥], من هذه الآليات التي يعتمدها المتكلم هي:

-الآليات شبه المنطقية:

خير من يمثل هذه الآلية هو السلم الحجاجيّ, الذي جاء نتيجة بحث وتطور في النظرية الحجاجية, حيث جاءت هذه الآلية لتطرح تطورًا خاصًا لكيفية تدرج العملية الإقناعية من حيث هي فعالية بين القول والنتيجة, فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية, تمثل مكونًا أساسيًا لا ينفصل عن معناه, يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهةً حجاجيةً ما[٦], وبهذا اهتمت هذه النظرية بنظام تراتب الحجج داخل الخطاب الطبيعيّ[٧].

وفي ضوء ذلك سعى العالم ديكرو ليقدم تصورًا عامًا حول ما أصبح يعرف بالسلم الحجاجيّ, الذي سيكشف عن الأثر البالغ الذي تؤديه العلاقات السلمية التي تنظم الملفوظات اللغوية في إنشاء الحجاج داخل الخطاب, فالسلم هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية للحجج[٩٨]، ضمن فئة حجاجية معينة، موفية بالشرطين الآتيين[١٠]:

- كلّ قول يرد في مرتبة ما من السلّم، يكون القول الذي يعلوه دليلًا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة (ن).

- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى نتيجة، فهذا يستلزم أن القول (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح[١١], ومن أمثلة ذلك قوله:" **واستمر انعقاد الاجتماع, الميزانية المالية بخير, نسبة الانتماء تصاعدت في الفترة الأخيرة, إما عن قضية الثقافة السياسية؛ فتم الاعتراف بأنَّها لم تولَ الأهمية اللازمة:**

- **إن نفي بابل قد أضر بنا كثيرًا.**
- **في الميدان الثقافي ما من أحد كبابل.**
- **وكذلك في مسائل التنظيم.**
- **وفي عمليات المجابهة العلنية للحكم.**"[١٢].
- **(ن)** كفاءة بابل وحك**مته في اتخاذ القرارات أو تفرده في قيادة الحزب.**

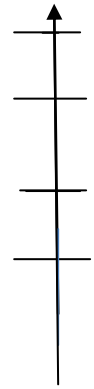

ج٤ عمليات المجابهة العلنية للحكم

ح٣ مسائل التنظيم.

ح٢ في الميدان الثقافي ما من أحد كبابل.

ح١ إنَّ نفي بابل قد أضرَّ بنا كثيرًا.

مجموعة من الحجج سيقت بنحوٍ تفاضليّ, حيث كانت الحجج الواردة في الملفوظ، لصالح النتيجة نفسها، وهو ما اصطلح عليه بالتساند الحجاجيّ[١٣]، حيث جاءت هذه الحجج عبر حوار تعدد الأصوات الذي نادى به باختين[١٤], فكلِّ حجة تسند الحجة التي قبلها, والتي بعدها, وهذا ما تمثل في حججهم الإقناعية التي تؤدي نتيجة واحدة هي كفاية بابل وتفقده, فبعد ترحيله القسريّ عانى الحزب من ضعف في جميع جوانبه الفكرية والثقافية؛ ولاسيما خسارته في مواجهة السلطة بنحوٍ علنيّ, ففي خسارته خسر الحزب العنصر الأكثر فعالية, حيث يلحظ على هذه الملفوظات أنها جاءت بصيغة

الفعل الكلاميّ الاخباريّ؛ بغية تأكيد أهمية الموضوع, واتخاذ ما هو ضروي لسدِّ النقص, والفجوة التي حصلت بعد غيابه, عبر قسم حجاجيّ يضم الحجج التي تنتمي إلى السلم نفسه.

ومن الأمثلة ايضًا:" **نعم...صارت...إن الرجعية الحاكمة عاجزة حتى عن تحسين مظهرها....هي عميلة الغرب... ولكنها لم تأخذ من الغرب نظمه وافكاره ومسالكه... رجعية قبيحة.. أشرة... سرعان ما تتحطم...إنها تزيد من رقعة أعدائها..لأنها لا تترك أحدًا لا تصيبه في شرورها**"(١٥), في خطاب معز ووائل نجدهما يذكران حججًا على وفق السُّلَّم الحجاجيّ قائمة على نظاميّ التفاضل والتقابل, ففي هذا الخطاب يستدل معز بحجج تؤدي نتيجة إلى واحدة هي فشل الحكومة في تلبية حاجات الانسان واحتوائه, ويمكن تحليل الخطاب على وفق:

ن: سرعان ما تتحطم إنها تزيد من رقعة أعدائها؛ لأنها لا تترك أحدًا لا تصيبه بشرورها.

ج١: الرجعية الحاكمة عاجزة عن تحسين مظهرها...

ح٢: عميلة الغرب

ر: لكن.

ج٣: لم تأخذ من الغرب نظمه وأفكاره ومسالكه.

ح٤: رجعية قبيحة.

ح٥: أشرة.

يبدأ المتكلم حجته الأولى بفعل إخباريّ إنكاريّ عن السلطة التي تحكم بنظام رجعيّ, ويقصد بـ(الرجعيّ) مفهوم ينتمي إلى الثقافة الماركسيّة, ويدّل على التيارات

المعارضة للمفاهيم التقدمية الحديثة, وذلك عبر التمسك بالتقاليد الموروث, ويرتبط أيضًا بالاتجاه اليمينيّ المتعصب المعارض للتطورات الاجتماعية السياسية والاقتصادية, إما من مواقع طبقية, أو لتمسك موهوم بالتقاليد؛ لأنَّه يمثل مصالح قطاعات خاصة من الشعب على حساب الصالح العام(١٦), فيرى معز أنَّ هذه الحكومة تجهل كيفية تطوير نفسها, عميلة للغرب؛ لكنه يستدرك كلامه بحجة جديدة عبر الرابط (لكن) المدرج للحجج القوية, الذي يربط بين حجتين (عميلة الغرب), و(لم تأخذ من الغرب نظمه وأفكاره ومسالكه) التي تحقق باستدراكيتها توجيه الخطاب وتقويته في السلم الحجاجيّ(١٧), فمعز على الرغم من نسبته هذه الحكومة إلى الغرب؛ لكنَّه يحتج ضدها؛ لأنها لم تأخذ من الغرب الجانب الإيجابيّ من أفكاره, وتنظميه, فلم تأخذ منها سوى هذا المفهوم(الرجعية), وبهذا عمل الرابط على تقوية علاقة التعارض الحجاجيّ أو التعاند الحجاجيّ, الذي يمثل سببًا رئيسًا في تقوية التوجيه الحجاجيّ, والذي يسميه موشلر بالمربع الحجاجيّ, وذلك؛ لأنَّ الحجة التي ترد بعد (لكن) تكون أقوى من الحجة التي ترد قبلها, وتكون له الأسبقية والعليّة في السلم الحجاجيّ(١٨).

ولم يقتصر السلم الحجاجيّ على هذه الروابط؛ بل استعان بسلمية المستوى الصرفيّ لوصف هذه الحكومة كاستعماله للصفة المشبهة (فعيلة) (قبيحة), والمعروف أنَّ المشتقات تتباين في قوتها الحجاجية, فاسم الفاعل في (أشرة) أقلّ تعبيرًا عن المعنى من الصفة المشبهة التي تدلّ على ملازمة الموصوف للصفة(١٩).

وهو بهذا حشد الروابط والسلميات اللغوية التي تنظم حججه, و تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة أو قسم حجاجيّ, والذي يعرفه ديكرو بأنَّ المتكلم في وضعية خطاب محدّدة, يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجيّ واحد, يفضي إلى نتيجة (ن) بشرط أن يكون الملفوظان يقودان ويخدمان النتيجة نفسها(٢٠), وهذا ما تحقق في السلمية المذكورة سلفًا, حيث خدمت الأقوال أو الملفوظات نتيجة واحدة.

-الآليات البلاغية:

للآليات البلاغية الأثر الفاعل في تعزيز الحجاج وما توصله هذه آليات من تأثيرات في المتلقي, لذلك تؤدي أثرًا كبيرًا في التسليم والإذعان الذي هو نتاج الإقناع؛ لمّا تحمله هذه العلوم من مقاصد.

فالآليات البلاغية تسهم في الإمتاع, وفي الوقت نفسه تعدّ حاملات للحجاج؛ لأنَّها تركز الفكرة وتطرحها طرحًا فعالًا مؤثرًا, وانطلاقًا من هذا, فإنَّ البلاغة مسلك رئيس من مسالك الحجاج, والاستدلال؛ ذلك لأنَّ العلوم البلاغية تكتسب قوتها التأثيرية الحجاجية؛ لأنَّها لا تخاطب العقل والذهن فحسب؛ بل تخاطب الجانب الوجدانيّ أيضًا, وبذلك تهيمن على المتلقي وتحقق فاعليتها الإقناعية[٢١], ومن هذه الآليات:

١.التمثيل:

يعدّ أسلوب التمثيل من الأساليب المهمة جدًا في العملية الإقناعية, بوصفه يعطي قوة لانطلاق العلاقة الحجاجية عن طريق المعطيات التي تترسخ عنها الخلاصة التي تفضي بالنتيجة إلى الحجة؛ إذ إن التمثيل يعمل على إسناد بنية ذهنية, وإنَّ هذا الملفوظ يحث على الاعتقاد بالفكرة المطروحة في سياق التمثيل[٢٢], وقد عُبِرَّ عنه بأنَّه تشبيه سائر, يكثر استعماله على معنى يشير إلى أن الثاني بمنزلة الأول, هذا المعنى ثبت فيهما فهو لا يتغير[٢٣].

ولأهمية هذا الأسلوب في التوجيه الإقناعيّ عمد عزيز السيد جاسم إلى تطريز معظم حواراته بهذا الأسلوب البلاغيّ الحجاجيّ, من ذلك:"

-إنني أخشى الكلاب يا وائل.

-كذلك أنا.. ولكني اتسلح با للامبالاة

-هذه شجاعة.

-ليس مؤكدًا...أتذكر صبيًا كان يحمل كتبه ويتوغل فيما وراء القرى والأرياف يلتهم ما في الكتب التهامًا... ومعه قوته البسيط خبز الله....

-هذا الصبي أنت؟

-أنا نعم أنا... أتدرين ماذا كنا ماذا حينذاك أو ماذا نتعلم؟ الأهل يقولون لنا ونحن صبيان:(إذا ما همَّ عليك كلب فاجلس؛ لأنَّه سيخجل, ويتراجع....كنا دائمًا نقول لأنفسنا عكس ما يعلمناه إياه الأهل: (الجلوس خوف هجمة الكلب جبن كامل)...تصوري أن بعضنا يفعلها يهجم الكلب, فيركض امامه, فتزداد هجومية الكلب, فيجلس فورًا على الأرض, فينهشه الكلب نهشًا, فالجبن يغري المهاجم, ويزيد من شراسته"[٢٤].

يتنزع عزيز السيد جاسم عدة صور عبر ذكره لحادثة الكلب, من ذلك ترسخ الذهنية العربية عامةً بالمعتقدات والتقاليد, والإيمان بها, وكذلك مماثلة الخضوع والخنوع للكلب في القصة والواقع السياسيّ العربيّ, وقضية التضيق على المواطن عمومًا والمثقف خصوصًا, حيث تقبل الوضع والتكييف معه, وعدم المحاولة سبب في خلق شخصية المهاجم, وإعطائه الحق في ممارسة وسائل التعذيب بحقهم, فعدم المحاولة للتغيير تغري الدكتاتور شراسة, وتعطيه قوة هائلة لنهش المجاميع البشرية, وبهذا أقنع (وائل) المتلقي(فخرية) بما يريد بوساطة التمثيل الذي ذكره بيرلمان بأنَّه لا يتم اعتباطيًا؛ بل يأتي ذلك عبر الصلة التي توجد بينهما, وهذه الصلة تكون معروفة سلفًا, وشائعة في الواقع, وبهذا يتم ثبات هذه الصلة, وتمثيلها في الذهن؛ لأنَّها ستكون مؤثرة عبر التمثيل؛ إذ إنَّ التمثيل يسقط علاقات مستفادة سابقًا على مجال مجهول, أو يبدع علاقات جديدة من منطبق تشابه ما, فالذهن ينظر إلى ما يجري أمامه عن طريق الأحكام التي تكونت فيه, في ضوء الخبرة السابقة[٢٥], وعلى وفق ذلك يشدد بيرلمان على أهمية المثل المستخدم في قضية معينة أن يكون داعمًا لحجة ما, وذلك كي يصبح الحجاج مؤثرًا؛ لأنَّ التمثيل ينتقل من حالته الخاصة ذات القبول عند المتلقي إلى حالة عامة تضم الرأي المدافع عنه[٢٦], وبهذا يتمكن المتكلم من فرض حججه على متلقيه.

ومنه أيضًا قوله:" **ولكن هل التوبة سهلة بعد سنوات طويلة من ممارسة إيذاء الناس وتدمير سعادتهم. وآمالهم؟ إنه أمر معقد فعلًا...وهو يختلف باختلاف النفوس..لكنه (حادث هارون نفسه كطبيب يمارس العلم) يعلم أنَّ النفس البشرية مستودع هائل لكثير من الأفكار والعادات والخواطر والمشاعر والذكريات وأيهما أكثر رسوخًا هو الأكثر تعبيرًا عن نفسه... مرة روى له الحاج حسنين قصة عن راقص شهير في مدينة من المدن ما كانت تقام حفلة زواج أو ختان مناسبة إلّا وكان الراقص هو محبيها أمضى في مهنة الرقص أكثر من عشرين عامًا** "[٢٧].

يظهر الراوي بطله في خطاب المونولوج (تيار الوعي) ليلقي حججه على المتلقي العام, وذلك ليناقش قضية مهمة جدًا, قضية التوبة من منظور علميّ, ومن منظور اجتماعيّ, فهو يدرك أنَّ النفس البشرية تشتمل على مجموعة من السلوكيات التي تطغى بعضهما على بعضٍ بفعل التغذية المعرفية والروحية لها, ففعل الاجرام مثلًا الذي يمارسه الطغاة في نظره, فعل لا يكبحه التقدم في السن أو التوبة؛ لأنه أمر معقد, ولتعزيز كلامه؛ بغية الإقناع, يستشهد بقصة الراقص الذي اعتزل هذه المهنة؛ لكن بقت بعض آثارها بادية عليه في أثناء الحديث كهز الرأس والكتفين:".. **فلما أدركته الكهولة شعر بالعيب فهجر الرقص...وقد رأيت أنّه يشفع كلماته بهزة الرأس والكتفين, وفيها ملامح من هزات الرقص فضحكت وقلت له: يا صاحبي, لا**[٢٨] **زلت أرى فيك أثرًا من آثار الجاهلية قال لي: أتقصد بقايا تلك الحركات اللعينة. قلت نعم. فكرر المثل الشعبيّ: "العادة في البدن ما يخلصها غير الكفن**"[٢٩]. فالمثل حجة من الحجج الجاهزة المألوفة اجتماعيًا التي يذكرها بيرلمان ويسميها بالحالة الخاصة المؤسسة لبنية الواقع[٣٠]؛ إذ يماثل الراوي بين سلوكي أو صورتي الإجرام والرقص, فكلاهما(أي الشخصان) وإنْ تخلصا من هذه السلوكيات المنبوذة, تبقى لها جذور راسخة لا تنفك عنه, تظهر بنحوٍ أو بآخر كلما سنحت الفرصة, وربما قصد بذلك بقاء الآثار المعنوية للسلوكيات المنحرفة اجتماعيًا والتي تؤكد السنن الكونية.

والمثل بما فيه من جمالية يمتع نفوس السامعين, ويدفع عنها السآمة والملل, ولا شك في أنَّ ذلك أدعى إلى قبول ما يطرحه المتكلم كما إنه يُوظَّفُ لشدِّ انتباه المتلقي, وحمله على الإذعان والتسليم بما يعرض عليه من طروحات لغرض إقناعه(٣١).

وبهذا قام المثل في الخطاب الروائيّ مقام الاستقراء في المنطق, فالمثل استقراء بلاغيّ, وهو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما, ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها(٣٢).

وما تجدر الإشارة إليه أن الروائي في توظيفه للمثل الشعبيّ خصوصًا يظهر قدرته الهائلة على التقاط اللحظة بلغة بسيطة, معتمدة على التصوير السريع؛ وعلى الإشارة التي تعطي مدلولها بحدِّ ذاتها من دون أن يفقد السرد تكنيكه, وهذا يعني أنه يحقق الاقتراب من الواقع عن طريق الالتصاق به وذلك باللهجة والمفهوم, وإعطاء السرد بعدًا تشكيليًا وتشويقيًا(٣٣).

٢.التفريع:

أسلوب بلاغيّ يُعنى بتقديم المرسل حجته كاملة أول الأمر, ثم يعود إلى تفنيدها وتحليل أجزائها, إنْ كانت ذات أجزاء, وذلك؛ ليحافظ على قوتها الحجاجية, فكلّ جزء منها بمنزلة دليل على دعواه(٣٤), حيث ينصّ على إثبات حكمٍ لأمر معين بعد إثباته الحكم لأمر آخر, وهذا يعني أنَّ الأجزاء المنبثقة عن الكلِّ تثبت ما سبقها من كل؛ لأنَّ المتكلم يقوم بطرح قضية ما, ثم يشرع بتفصيلها إلى أجزاء, شريطة أن تكون هذه الأجزاء داعمةً لموضوعه, ودليلًا عليها, فكثيرًا ما يلجأ الخطاب لإثبات قضية معينة أو دحضها إلى تجزئتها(٣٥), ويدخل هذا المصطلح في تداخل مع مصطلحات

أخرى كمصطلحي(الإجمال والتفصيل) اللذين يؤديان الغرض نفسه حيث يجمل المرسِل في عرض قضية ما, ثم يفصل في دقائقها[٣٦].

وكون الخطاب الروائيّ يعتمد على طرائق مختلفة في طرح موضوعاته, فالتفريع تقنية معتمدة في استمالة المتلقي وإقناعه, من ذلك حوار بابل وزاهد:"

- **أما ستالين. قال زاهد...**
- **فهو العظيم, إنه الشيوعي الحديدي...الطراز الرفيع من المعارك المحتدمة, أتعرف كيف تحدى الموت بشجاعة هائلة؟ كم من المرات فرّ من سيبيريا...**
- **وهذا المسمى تروتسكي هو عدو الحركة الشيوعية, عميل, إنه تحدى لينين والبلاشفة عمومًا عندما قال في المؤتمر: لم أجد شيوعيًا واحدًا سوى أنا[٣٧] وقبعتي..ثم تناول قبعته ومضى.."[٣٨].**

في هذا الحوار يقدم زاهد بنحوٍ مجمل موضوعه إلى بابل, وهو الانتصار لـ(ستالين), ثم يشرع ببيان صفاته, وشجاعته, بطريقة جزئية مكملة للموضوع الأساس (عظمة ستالين), والانتقاص من أعدائه بالتفصيل وتكمن أهمية هذه التجزئة في حملها لدلائل الإثبات؛ إذ تشكل طبيعة أسلوبية تجري فيها الانساق اللغويّة التي تتشكل على وفق علاقات بنائية مختلفة, تكشف عن الحكمة العقلية التي شكلت النص المكتوب؛ لأنَّ العقل يتحرك بطريقة تفصيلية, توحي أن هذه الفكرة تتحلل إلى عناصر جزئية صغيرة[٣٩], يتضح هذا بجلاء أو بوضوح في حوارهما, فزاهد يتعصب لستالين المنتمي إلى الحزب الشيوعيّ, ويقدم حججه الخاصة بجوزيف ستالين, ومنها عدوه وعدو الحركة الشيوعية تروتسكي:"

-أعتقد أن أخطاء تروتسكي مناضل؟

-ماذا مناضل أميمي. كان انتهازيًا حاربه لينين بضراوة هذا هو تروتسكي هو عدو الحركة رقم ١.

-اذن[٤٠] ماذا تقول عن مكارثي؟ عن أعداء الشيوعية الكبار.

-تروتسكي أخطر منهم عمومًا.

-لماذا؟

-هذا واضح شكل أممية رابعة ضد[٤١] وحدة الحركة الشيوعية انه اللانقسامي الذي انيطت به المهمة من قبل الامبريالية العالمية...."[٤٢].

ثم يعلل سبب بغضه لتروتسكي وتفضيله لستالين, لأنه سعى إلى تكوين حزب خاص به, والحق يقال إنَّ قدرات تروتسكي تفوق نظيره ستالين بمراحل، فعلى عكس تروتسكي، أدى ستالين أثرًا هامشيًا في الثورة الروسية ١٩١٧م, وكما قال المؤرخ الروسيّ سوخانوف: إنَّ ستالين قد ترك إنطباعًا لدى الجميع, وكأنَّه بقعة رمادية باهتة في الثورة, أما تروتسكي؛ فيشهد له حلفاؤه وأعداؤه على السواء بقدراته في الخطابة والتحريض والتنظيم[٤٣].

وهذا هو ما يحتج به (بابل) لتروتسكي, فعلى الرغم من تخطئة الناس لتروتسكي وتحميله أعباء ما حصل, فلا ضير من الانتصاف له الآن, وبنحوٍ علميّ بحضور الوقائع والدلائل؛ لكن زاهدًا حوّل مسار الخطاب على غير الذي رسم إليه, وذلك عن طريق المشاحنة والمغالطة والعنف والتطرف؛ فانقلب الحجاج بكلِّ ذلك إلى عنف يمارسه بطرائق شتى, فخرج من دائرة الحوار التعاونيّ المنتج إلى حوار تعسفيّ, عقيم, فكان الحجاج مغالط[٤٤], الهدف منه سلب حرية بابل وإخضاعه لحججه وتغليطه أو تطويعه[٤٥].

ومن الخطابات التي يظهر فيها هذا الفن البلاغيّ قوله:" **وفي ركن معزول في الساحة سمع اثنين يتحدثان:**

-نعم...إنه جاسوس...ألاترى كم هو انطوائي.

-سمعت ذلك...أيضًا...علاقته جيدة بالمدرسين عمومًا...ولهذا السبب...

-ولكن...ألا ترى معي أنَّ ذكاءه هو السر في احترام المدرسين له.."[٤٦].

يلجأ أحد المتخاطبين إلى اتهام بابل بالتجسس, ويستدل على ذلك بابتعادهِ وعزلتهِ عن الآخرين, واحترام الأساتذة له, وهي حجج جزئية لنتيجة كبرى أو مقدمة كبرى كما هو معروف في القياس الخطابيّ[٤٧], والمقدمة الصغرى (الانطواء, احترام المدرسين له, الذكاء) وقد خدمت هذه الحجج أساليب لغوية تمثلت في عبارة (ألا ترى) المكررة التي تستدعي انتباه المتلقي, ومن ثم إقناعه, وأيضًا الرابط الحجاجيّ(لكن) المستدرك لنتيجة مخالفة.

٣.السخرية:

آلية انتقادية مشهورة ترمي إلى جعل الحوار مادة للسخرية, وتنزع عنه الجدية المفترضة, وتكون شديدة الفعالية في الخطاب الدينيّ, فهي استراتيجية حجاجية في الإقناع والتأثير عبر النيل من الآخر, وجعله مثارًا للضحك والاستهزاء[٤٨], وهي حجاج غير مباشر, فعن طريقه يمكن رفض الأفكار والتصورات التي تنافي المنطق, وتفتقد إلى المقبولية, فمن جعلها موضوعًا للنكتة والسخف يمنح الآخر فرصة تسخيف فكر الآخر ورفض مسوغاته [٤٩]. و يزخر الخطاب الروائيّ باستعمال هذه الآلية ذات التأثير البالغ, وفعاليتها في تحقيق المطلوب ففي حوار وائل الجابريّ مع إحدى عشيقاته:

- قل لي لماذا تركت العلم واتجهت إلى الأدب ثم هجرت الأدب واتجهت إلى الفن...

-وأكملي مقالتك يا فوضوية الجسد وهجرت الفن وأصبحت بقالًا.

-إنني أسألك..

-ليس الجواب من شأني...إنها الظروف التعيسة للبلدان النايمة.

-البلدان النايمة؟

-أتريدين أن أسميها النامية, يا للنمو المكسف المخجل, تنمو العمارات, وتتكاثر الأموال فيما تنحط القيم, وتتحول كلّ الصور البشرية إلى أقزام لا حرية...لا تدبير..."[٥٠].

يلجأ المتلقي(وائل الجابريّ) إلى السخرية للتعبير عن واقع سياسي مزرٍ أسهم في مغادرته من ضروب العلم والفن إلى البقالة والشارع, فهو لا يملك إجابة عن إشكالات عشيقته؛ بل الإجابة تكمن في البلدان النايمة بنظره, فما قيمة زيادة المباني والعمارات, وتوافر سيولة في المال, مقابل مغادرة الإنسان للمقومات التعايش, كالقيم والمبادئ المهمة في توجيه البشرية, فانعدامها انعدام للإنسانية, فعن طريق السخرية – بوصفها آلية بلاغية – أفصح وائل عن رأيه تُجاه الحكومة والحكام, وبهذا يتحقق غرض السخرية التي تقوم على أساس انتقاد الرذائل والحماقات, والنقائض الإنسانية الفردية منها, والجمعية, كما لو كانت عملية الرصد أو المراقبة لها تجري هنا عبر وسائل وأساليب خاصة في التهكم عليها, أو التقليل من قدرها, أو جعلها مثيرة للضحك أو غير ذلك من الأساليب التي يكون الهدف من ورائها محاولة التخلص من بعض الخصائص والخصال السلبية[٥١], فالسخرية تظهر بنحوٍ كبيرٍ حين تسود في المجتمع عدالة الإنسان المقلوبة, وتكون في الذات الإنسانية حين تخون الإنسان ملكاته, وحين نتأملها في أسمى صورها بوصفها آليةً دفاعية ضد القهر مهما كان مصدرها, فيمكن القول إنَّها: إحدى الخصوصيات القليلة التي تميز الإنسان عن الحيوان بوصفها تعديلًا للسلوك الغريزيّ, فالإنسان هو وحدهُ الذي يقلب عن وعي الموقف المأساوي أو موقف الشدة إلى موقف اللامبالاة, ولا شك في أن هذه المسألة مرتبطة بوعيه الوجوديّ[٥٢].

وقد يلجأ إلى هذه الآلية بغية تبكيت الخصم, والتعريض به[٥٣] كما في قوله:" **– أنت تعرفه رفيق دخان ؟ سأل غفور الأعمى.**

–لا, ولماذا أُتعب نفسي بمعرفة التافهين.

–أنا أتوهم؟ من أنت حتى تقول لي ذلك؟ أنت أعمى.

ضحك غفور ضحكة سخرية عالية أنا أعمى أنا أعمى, هل هذا من موضوعات النقد؟ وهل إنَّ ذلك[٥٤] انحراف عن مبادئ التنظيم"[٥٥].

في محاولة لغفور الأعمى المناضل السياسيّ؛ لبيان آرائه في كيفية تطوير العمل داخل الحزب, ليتصدى لخطابه أحد الرفاق وينعته بالأعمى, وهذا الأمر لم يأتِ من فراغ, فهذا أسلوب متعمد من المتلقي لصد المتكلم عن موضوعه, وإضعاف حجته, ويدخل هذا في تشويه سمعة الخصم بتعليق غير مناسب لموضوع حجته بدلًا من تفنيدها[٥٦], ويصر الكاتب على تسميته الصريحة (غفور) ملحقًا إياه بلقبه (الأعمى) ليبين موقف المجتمع منه, واتخاذه مادة للسخرية, على الرغم مِمّا انمازت به هذه الفئة من الإبداع والتألق, فقد اعترفت الحضارة العربية لأصحاب البصيرة بالكيان الاجتماعيّ والثقافيّ. في الجانب الآخر يلتزم غفور بآلية الضحك, والمتعارف عليه أنَّ الضحك هو الجانب الذي يحاكي بتصلبه الخاص الآلية المحصنة البسيطة أي الحركة من غير حياة, فهو يدّل – إذًا– على نقص فرديّ أو جماعيّ, يقتضي عقابًا مباشرًا, وما الضحك إلّا هذا العقاب, فالضحك حركة اجتماعية ترمي إلى ذهول البشر, وتحصيل المراد[٥٧], وهذا ما يبتغيه غفور الأعمى من ضحكته تلك , وهي مليئة بالمرارة من واقع يرثى له.

ويلحظ على السخرية أنها تتسم بملامح متناقضة أو متضادة, ولعل هذا راجع إلى أمرين, أولهما: تأصلها في مجال التبادلات الاجتماعية المرتبطة بالخدع التخاطبية, والآخر تعبير الساخر تزامنيًا عن الرفض والتوق إلى عالم بديل؛ ليخلق عبر كلماته عالمًا أنموذجيًا بموازة الشيء المرفوض؛ لذلك عدّ كلّ ساخر مثاليًا[٥٨].

ثانيًا/ طرائق تفسير الحجج الإقناعية وتأويلها لدى المتلقي:

المتلقي هو الطرف الآخر في الخطاب الحجاجيّ الذي يقوم على تلقي الرسالة بتحليله, وتفكيكه لرموزها[٥٩], فوظيفته تفكيك الرسالة اللغوية, ومن ثم تركيبها, بغية فهم المقاصد, ومعرفة الغايات, وهو أثر يؤكد أنَّه مكملٌ لعملية التخاطب التي لا يتم إنجازها من دون أن تمرَّ بمرحلتي التركيب والتفكيك[٦٠], فعندما يوضع الخطاب بين يدي السامع أو المتلقي, فإنَّه يتعامل معه بطريقته الخاصة في الفهم, مستعينًا بتجاربه وثقافته التي ينفرد بها عن غيره, وإن كانت معظمها مشتركة بين أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه لغويًا, وهو ما يعطي فهمه صبغة موضوعية إلى حدٍّ ما[٦١], فعندما يبدأ الكاتب في كتابة نصّه يضع في حسبانه النوع الأدبيّ الذي يكتب فيه, والسياق السوسيو ثقافيّ الذي ينتمي إليه؛ فهو يؤلف نصًّا مكونًا من بِنًى أدبية ولغوية, تُترك مهمة فك رموزه وشفراتها إلى القارئ المتمرس[٦٢].

وقد أكد أرسطو في كتابه الخطابة أهمية السامعين في تكوين المتلقي للأدلة والبراهين التي تتكون منها الخطبة, لذلك هو ينبه على الخطيب بضرورة دراسة انفعالات للمستمع إلى جانب دراسة الأخلاق[٦٣], ومع بروز الاتجاهات البحثية في دراسة الجمهور نظر علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر إلى المتلقي على أساس أنَّه فرد سلبيّ يتلقى عدة رسائل إقناعية مِن دون أن يحرك ساكنًا للتصدي إليها؛ ولكن تطور الدراسات صححت هذه النظرة بعد ظهور نظرية (لازرسفيلد) التي برهنت على أن للتأثير حدودًا آثرها المتلقي الذي ينتقي المعلومات التي يريد أن يتلقاها, ويرفض ما لا يصدقه, وبذلك تبين للجميع أنَّ المتلقي لا يتقبل آراء الآخرين بصفة سلبية[٦٤].

ونظرًا إلى الأثر الذي يؤديه المتلقي في تحديد أدبية النصوص ومقاصد مؤلفيها؛ فإنَّ مدرسة (كونستانس) التي يعدُّ (هانس روبرت), و

(ياوس) و(ولف غانغ أيزر) من أبرز روادها قد دعت عن طريق نظرية التلقي إلى ضرورة إعادة النظر في النظرية الكلاسيكية للأدب وبنائها من جديد على وفق معايير وأسس جديدة, يعدّ فيها المتلقي أبرز العناصر التي تحدد ماهية النصوص؛ لإيمانهم بأنَّ قيمة العمل الأدبيّ تكمن في الأثر الذي يحدثه النص الإبداعيّ في نفسية المتلقيّ بعد دخوله في علاقة تفاعلية مع النصّ(٦٥).

ومن الأمثلة التأويلية للمتلقي في نصوص عزيز السيد جاسم قوله:"

-لقد كتبت قصة عظيمة..هل قرأتموها..

-لا...

وأخرج صحيفة من جيبه.

-هذه هي قصتي العاشرة...وهل قرأتم ماكتبه الناقد حمدي عني؟

-لا...

-هذا هو ما كتبه..

-وأخرج صحيفة اخرى من جيب داخلي...

-لقد نشرت الصحيفة صورتي أيضًا...

-وفتح الصحيفة وعرض أمامنا صورته تتوسط الموضوع الذي نشرته الجريدة عن القاص حسن..."(٦٦)

اتخذ المتلقي (وائل) موقفًا مضادًا من مضمون الرسالة, وحجج المتكلم, ما أدى إلى التفاعل بسلبية شديدة معه, فهو لا يستطيع أن يتواصل مع رسالة (حسن) التي تتقاطع مضامينها مع متبنياته الأيديولوجية, إلّا عندما يستلب مقاصدها, واخضاعها إلى أفكاره المذهبية, ورغباته العاطفية, على الرغم من امتلاك(وائل) قدرة تأويلية عالية(٦٧), لذلك لم يتجاوب معه, وكانت إجاباته مقتضبة جدًا, لا تتعدى كلمة أو كلمتين, ما استفز الآخر, وجعله يتفاخر بما كتب عنه:

" **إنني شهير... ولذلك فإنَّ الصور التي تنشرها الصحف لي يجب أن تكون حقيقة, متقنة, تعكس ملامح الفتوة والجمال, أراكم لا تعلمون أني نلت الجائزة الأولى في القصة...**

-لا...لا نعلم.

-هكذا أنتم لا تفرحون بأخباري...بخلاء...

-نحن نعرف أخبار(أجبته وأضفت)

-وهي أخبار سخيفة.....

-أنت شبح (صرخت بانفعال)

-أنا شخص عظيم...روائي...أديب بارع في عالم السوقة الجاهلين

-انظر الى وجهك جيدًا سترى أي شبح أنت؟

-تُرى هل أنت مصاب بالتدرن الرئوي؟ إنك تموت صفرةً وتعرقًا وذبولًا.."[٦٨].

استنتج وائل في هذه الحوارية مقصد المتكلم (حسن) عن طريق حججه القائمة على الافتخار التي يبتغي من ورائها تقبل الآخرين له, والإيمان بقدرته, فبنى في ضوء ذلك مقصده, فرسم له ملامح الشخصية النرجسية الفارغة من الهموم, المصابة بعقدة الخيلاء في إشارة إلى طبقة ثقافة السلطة ومثقفيها, ومن جهة أخرى كان تأويله لنقد هذه الشخصية رسمًا للمثقف الأنموذج الذي يتبناه, فهو نقد للثقافة والمجتمع المتثاقف, ولسلطات قشورية أخذه بزمام فعل ثقافيّ لا يعرفها, ولا يمكنها ان تنتمي إليه واقعًا, فـ(حسن) في صراع مع ذاته, لذلك انتهز وائل الفرصة, فعمد إلى تشويه سمعته, والتقليل من شأنه[٦٩], وتهديده بمرضه, وإرجاعه إلى مكانه القديم, القرية الصغيرة الفقيرة التي ينتمي إليها, وذلك لفضح ازدواجية رجال السلطة ومشكلاتهم النفسية, فضلًا عن إفصاحه عن موقفه من الحكومة ورجالاتها التي تقف وراء حسن وشاكلته, فيتضح هنا مدى وعي المتلقي بالحوار وتوجيهه على وفق ما يريده هو, وليس على ما يفرض عليه.

وقد يكون المتكلم والمتلقي على درجة واحدة من الإدراك والثقافة, كحوار وائل وخاله عواد:"

-أليس الإيمان عواطف أولى...حالة بدائية؟ فيما أن المعرفة كفاح عقلي متجدد.

-لماذا تسميه حالة بدائية أو عواطف أولى. أو ليس جوهر الحياة ماثلًا في مختلف الأشكال؟ خذ مثلًا... قلب الإنسان هذا العضو الذي يضخ الحياة, هل تضاف له تطويرات عضوية جديدة فيما بعد مراحل الطفولة؟ لا إنَّ الهيئة الأصلية تبقى ولا تضاف عضوية جديدة, إنَّ الأصل, أو الجوهر, ليس شيئًا بدائيًا... هذا على صعيد الجسد, أما على صعيد الروح؛ فالأمر مختلف تمامًا.

-ولكن حديثك عن الإيمان لا يتطابق مع وضعك فأنت المتمرد على العادات والطقوس...كان إلحادك رفضًا للدين, والآن عدت إلى الصورة الاجتماعية للتدين..أي إلى إسلامية, إسلامية تقليدية, فماذا فعلت طوال هذه الفترة اذن[٧٠]؟

-لم أفعل شيئًا خارج نفسيّ, إنَّ تمردي كان هوس الشباب, واعترف أن صلاتي كصلاة الآخرين إلّا أنني قد أصل إلى مضمون الصلاة... أتريد أن تعفي نفسك من طقوس الصلاة, أهي متعبة إلى هذا الحد؟ متعبة لا..."[٧١].

استدعى كلّ من المتكلم والمتلقي نشاطًا ذهنيًا؛ لبيان مقاصدهما عبر آلية التفاعل الكلاميّ الذي نادت به (اوركيشوني) فنرى الإرسال والتلقي عندهما يخضعان إلى علاقة التحديد المتبادل, فكلاهما يستند إلى هذا النشاط التأويليّ الحجاجيّ للوصول إلى الفهم والإفهام في الخطاب[٧٢], فالحوار بمجمله هو قلق الإنسان تجاه الحياة, ومشكلة الاختيار, وتقييد الإرادة, فضلًا عن تصوير النزاع بين المذاهب المادية والروحية, فالمتلقي (عواد) متمسك بالروح التي تخضع الجسد لإرادتها, ويحتج لها

بذكر الدلائل, فيما يصر الآخر على الروحية المتجردة عن الجسد, فنراه يلح على ذات مجتهدة في وعيها الروحيّ, بعيدة عن التفكير التقليديّ, والاتباع الجمعيّ اللذين يفضيان بفردانية الذات وإرادتها, وبهذا أظهرت هذه الحوارية صورة تنازع بين زمني الشباب والكهولة, وكذلك نسبة الحقائق أو الحجج إلى سيولوجيا المعرفة, فضلًا عن تصويره لبرودة العلاقات الاجتماعية بوصفها جزءًا من انهيار الإنسان بفعل السلطة, الذي تمظهر بعدم الاهتمام لخاله, على الرغم من افتراقهما طويلًا.

وقد يلجأ المتلقي إلى التعليل للدفاع عن حجته, كما في حوار الطبيب هارون وأخيه:"

– ترى ما قيمة أنَّ نبني ونؤسس ونزيد عدد المدن والمساكن والمؤسسات والمشاريع فيما يظل المواطن مسلوبة منه أبسط حقوقه الإنسانية؟

–إنها الصيغ السياسية القاهرة المسؤولة.

–ربما... وربما لا إن الخلل عميق جدًا...إنه خلل آسيوي قديم كان الآسيويون يؤسّسون إمبراطوريات واسعة بالقوة ولم يحافظوا عليها بالحضارة والسلم وحين ضاعت الإمبراطوريات بعد ضياع الفتوحات بقي الهاجس الإمبراطوري الحس الاستيلائي الذي لم يكن امامه موضوع للعمل فأصبح المواطن هو موضوع التطبيق موضوع الاستيلاء الإمبراطوري. إن كل السيوف والرماح والسكاكين والسنابك التي كانت تستخدم في الفتوحات, أطبقت على رأس المواطن وصدره..."[٧٣].

أظهر الخطاب المتخاطبين في صورة حوار مباشر, ولمّا كان هذا الحوار من أهم أشكال التفاعل اللفظيّ, فهو المجال الطبيعيّ الذي يقع فيه الحجاج بامتياز, حيث اعتمد فيه على الأسلوب المكثف للسؤال والجواب, بوصفهما مؤشرين على حال النقاش وحضور الذوات المتفاعلة, فاختراق الآخر يتم عبر مباشرة الاتصال الحي معه بالسؤال, وانشباك الآخر يتم عبر أجوبة وتعقيبات وردود يتوجه بها مباشرة[٧٤], وهذا ما

تمثّل في تساؤلات وإجابات هارون وأخيه, فالأول الذي يستشكل بناء المدن مقابل تحطيم الإنسان, ينسبه الآخر إلى الأنظمة السياسية؛ لكن الآخر يعلل ما آلت إليه البشرية بسبب آمال قديمة للشعوب الأسيوية في تكوين إمبراطورية بعد فشلها في الحفاظ على إمبراطوريتها بشتى السبل, فما كان منها إلّا التوجه نحو الإنسان, وتطبيق الاستيلاء الإمبراطوريّ عليه, ويلحظ عليه الاستبداد بالكلام الذي يرجح كفته وقوة موقفه, وهذا الأمر هو الذي يجعل من احتفاظه بالكلام وحيازته مبادرة آلية إقناعية(٧٥), فالمتلقي هنا كان صاحب الحجة الأقوى, وذهب بسرّ الخراب الحاصل في البلدان النامية إلى رغبة قديمة لدى شعوب آسيا, وهذا يدلّ على مدى وعيه وثقافته في معرفة التاريخ وأنظمة الحكم. ومثله حوار وائل الجابريّ مع أحد اصدقائه:"

-لماذا لا تكتب في الصحف يا وائل, فأجاني رحيم سائلًا.

-إني رسام...أرسم فقط...

-ولكننا نعرفك جيدًا...أنت رسام.. وكاتب... وعازف على العود من الضروري(٧٦) تكتب أفكارك...ومن حق الناس أن يقرأوا(٧٧) لك...

-وهل الصحف السيئة تستحق أن يكتب فيها الشرفاء؟

-رأيي...إنك توصل أفكارك... فإذا ما كانت الصحيفة منبرًا لأفكارك في زواية منها...فهذا شيء جيد.

-ما تقوله قد يكون صحيحًا نوعًا ما وفي حالات معينة, ولكن هذه الصحف مشبوهة كلية...وهي تبحث عن اقلام مشبوهة..."(٧٨).

يتخذ المتلقي هنا من الاستدلال الذي يعدّ نمطًا من الخطاب يرمي إلى حث المخاطب على القناعة بأمر ما بتقديم دعوى مدعومة بأكثر من دليل مسلكًا إقناعيًا لرفض ما ألقي عليه من مطالب, ففي رأيه السماح لقلمه بالكتابة في صحف مشبوهة, هي عملية شراء العقول, وتجميد الأفكار وتقييدها إلّا في الوجهة التي يبتغونها, وحتى إنْ لم يحدث هذا, فإنَّ مجرد الكتابة على صفحاتها تعني تزكيتها وتقديسها, ومن ثم

تزكية رؤوس الفساد التي تقف وراءها, فابتعاده عن الرسم, وعن العزف, وعن الكتابة على الرغم من حاجته الماسة إلى المال, هي عزة نفسه التي تمنعه من الانخراط في الفساد, والتسبب في قتل الآخرين, وأرى أنَّ موقف رحيم هو الصواب, فرفع أيدينا وأقلامنا عن الإسهام في الحياة والتغيير هو أمر يفسح المجال للمتنفذين لعمل كلّ ما يروق لهم, فيجب على المثقفين الدخول بينهم لغرض ردّ الحقوق المسلوبة.

يتضح ممّا تقدّم آنفًا من الخطابات الروائية الأثر الفاعل الذي يؤديه المتلقي في الخطاب, والقيمة التي يضيفها إليه عن طريق التفسير والتأويل, فالتحاور لا يفترض تبادل الكلام بين متخاطبين حققيين معًا أو خطابًا مفترضًا؛ لكنه أيضًا علاقة داخلية موضوعية وقصدية بين مشاركة متكلم, وآخر يستحسنها ويقدرها[٧٩], وهذا يعني أنَّ المتلقي لا يكون مستهلكًا للخطاب؛ بل عنصرًا مؤثرًا في العملية التخاطبية يسعى عن طريقها إلى إثبات ما يريد عبر الحجج التي يلقيها ردًّا على الحجج المطروحة عليه, وأنَّ المتكلم يسعى إلى تحقيق استجابته, فيلجأ إلى استعمال الأساليب اللغوية والمنطقية التي تتحكم بتنظيم الحجج وترتيبها بحسب القوة الحجاجية المنجزة, ولا يكتفي بهذا؛ بل يوظف الأساليب البلاغية ليؤثر فيه, ويحقق غاياته عن طريق الحجج التي تخاطب عقله تارة, ووجدانه تارة أخرى, فالعملية الخطابية تولي المتلقي اهتمامًا كبيرًا بوصفه عنصرًا مهمًا فيها.

الخاتمة:

١.تنوعت الأساليب الإقناعية في خطاب عزيز السيد جاسم فلم يترك طريقة لم يستعملها في خطابه الروائي بغية الإقناع والتأثير؛ إذ نجد صدًى واضحًا في الآليات شبه المنطقية المستعملة كالسلالم التي تحكم ترتيب الحجج داخل الخطاب, والآليات البلاغية التي تؤثر في توجيه الخطاب كالتمثيل والسخرية.

٢..اختلفت الحجج المستعملة في الخطاب بين ما هو جاهز وغير جاهز, وبين ما هو عقليّ وما هو عاطفيّ.

٣.أولى عزيز السيد جاسم المتلقي أهمية كبيرة في التحليل, فقد رسم أفكاره وآراءَهُ بحسب متلقيه, فالمتلقي سواء كان المباشر لحظة إنتاج الخطاب أم المتلقي الكونيّ ليس مستهلكًا؛ بل عنصرًا فعالًا للسمو بالعملية التواصلية عبر تأويلاته وتفسيراته التي تثري الخطاب, وتعيد بناءَهُ على وفق فهمها.

الهوامش

[١] – استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية), ص/ ٤٥٦.

[٢] – ينظر: اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, ص/٢٩٩ , الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية, ص/٢٧ , في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) , ص/١٣.

[٣] – ينظر: الدَّرْس الحِجاجيّ في نظريّة تحليل الخطاب, ص/٣٦.

[٤] – ينظر: الاقناع في قصة ابراهيم عليه السلام, مقاربة تداولية, (رسالة ماجستير), ص/ ٢٠.

[٥] – ينظر: الاقناع والاقتناع في شعر ابي فراس الحمدانيّ (مقاربة تداولية), ص/١.

[٦] – ينظر: نظرية الحجاج في اللغة(بحث), ص/٣٥٢, السلالم الحجاجية في القصص القرآنيّ(مقاربة تداولية), (اطروحة دكتوراه), ص/١١٤.

[٧] – ينظر: السلالم الحجاجية في القصص القرآنيّ(مقاربة تداولية), (أطروحة دكتوراه), ص/١١٤.

[٨] – اللغة والحجاج ص/ ٢١, التداولية والحجاج مداخل ونصوص, ص/٧١–٧٢.

[٩] – ينظر: مناهج الدراسات الادبية من التاريخ إلى الحجاج, ص/١٦٤, حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه, ص/ ١٤٠.

[١٠] – ينظر: اللغة والحجاج, ص/ ٢١, التداولية والحجاج(مداخل ونصوص), ص/٧١–٧٢.

[١١] – ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ, ص/ ٢٧٧, الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه, الأسلوبية, ص/ ٣٣.

[١٢] – المناضل, ص/ ١٣٠.

[١٣] – ينظر : المظاهر اللغوية للحجاج (مدخل الى الحجاجيات اللسانية), ص/ ١٠٩.

[١٤] – ينظر: المبدأ الحواري, ص/٨.

[١٥] – الزهر الشقي, ص/ ١١٧.

[١٦] –ينظر: مصطلحات سياسية ومعانيها, سليمان بن صالح الخراشي, مقال منشور على الانترنيت على الرابط التالي: http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/mm/١٥.htm

[١٧] – ينظر: الظواهر اللغوية للحجاج, ص/١١٦.

[١٨] – ينظر: القاموس الموسوعيّ للتداوليّة, ص/ ٣٠١, الظواهر اللغوية للحجاج, ص/١١٦.

[١٩] – ينظر: العوامل الحجاجية في شعر البردوني(النفي انموذجًا), ٢٠١٥م، ص/ ١٢٥.

[٢٠] – ينظر المصدر نفسه, ص/ ١٣٠.

[٢١] – ينظر أسلوبية الحجاج التداوليّ والبلاغيّ (تنظير وتطبيق على السور المكية), ص/ ١٦٣.

[٢٢] – ينظر: المصدر نفسه, ص/١٦٥.

[٢٣] – ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز, ص/ ١٣٢.

[٢٤] – الزهر الشقي, ص/ ١٧.

[٢٥] – ينظر: الصلة بين التمثيل والاستنباط, بناصر البعزاتي,(بحث), ص/٢٩, أسلوبية الحجاج التداوليّ والبلاغيّ, ص/ ١٦٦.

[٢٦] – ينظر: تاريخ نظريات الحجاج, ص/ ٥٢–٥٣, أسلوبية الحجاج التداوليّ والبلاغيّ, ص/ ١٦٦.

[٢٧] – المفتون, عزيز السيد جاسم,(رواية), ١٩٨٧م. ص/١٣٠–١٣١.

[٢٨] – الصواب:(ما).

[٢٩] – المفتون, ص/١٣١.

[٣٠] – ينظر: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية , ص/٤٠٣.

[٣١] – ينظر: النظرية الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقية, ص/٣٥.

[٣٢] – ينظر: في بلاغة الخطاب الاقناعيّ (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية), ص/٨٢.

[٣٣] – ينظر: الشخصية الروائية عند عزيز السيد جاسم (عوالم متأرجحة ومتصارعة), (مقال).

[٣٤] – ينظر: استراتيجيات الخطاب, ص/ ٤٩٤.

[٣٥] – ينظر: أسلوبية الحجاج التداوليّ والبلاغيّ, ص/ ٢٠١, معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب, ص/ ٦٤.

[٣٦] – ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن, ص/ ٦٦–٦٧, تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي (محمود شاكر انموذجًا ص/ ٢٨٢.

[٣٧] – الصواب: (سوايَ).

[٣٨] – المناضل, عزيز السيد جاسم,(رواية), ص/ ٢٠١.

[٣٩] – ينظر: السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية, ص/ ١١٧.

[٤٠] – الصواب: (إذًا, وفي هذا التصويب قرار معجمي من مجمع القاهرة).

[٤١] – الصواب: (تُجاه).

[٤٢] – المناضل, ص/ ٢٠٢.

[٤٣] – ينظر: ليون تروتسكي.. النظرية والممارسة, إيسم كونارار, ترجمة: أشرف عمر, وحدة الترجمة – مركز الدراسات الاشتراكية, مقال منشور على الانترينت على الرابط التالي: (https://ayman١٩٧٠.wordpress.com/٢٠١٢/٠٨/٠٨).

[٤٤] – ينظر: اللسانيات والحجاج (الحجاج المغالط نحو مقاربة لسانية وظيفية), (مقال), ص/ ٢٧١.

[٤٥] – ينظر: التواصل بين الاقناع والتطويع, (مقال), ص /٢٦١.

[٤٦] – المناضل, ص/ ٢٠.

[٤٧] – ينظر: النص الحجاجيّ العربيّ(دراسة في وسائل الاقناع), ص/٥٧.

[٤٨] – ينظر: بلاغة الجمهور(مفاهيم وتطبيقات), ص/ ٢٣٧–٣٥٧.

[٤٩] – ينظر: السخرية في الخطاب اللسانيّ الحديث, ص/ ١٢٧.

[٥٠] – الزهر الشقي, ص/ ٢٧٢–٢٧٣.

[٥١] – ينظر: الفكاهة والضحك رؤية جديدة, ص/٥١.

[٥٢] – ينظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول, ص/٩٩–١٠٠.

[٥٣] – ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجًا(دراسة تحليلية), ص/٢٢٧.

[٥٤] – الصواب: (وهل ذلك).

[٥٥] – المناضل, ص/ ١٢٩

[٥٦] – ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظريّة المسالك والغايات, , ص/ ١٣٥.

[٥٧] – ينظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول, ص/١٠٠.

[٥٨] – ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة, ص/٣٤.

[٥٩] – ينظر: المخاطب والمعطيات السياقية في كتاب سيبويه, (بحث), ص/١٥.

[٦٠] – المعنى وظلال المعنى(انظمة الدلالة في العربية), ص/ ١٥٥.

[٦١] – ينظر: المصدر نفسه, ص/١٥٥.

[٦٢] – ينظر: نظرية التلقي بين ياوس وأيزر, ص/ ٣–٤.

[٦٣] – ينظر: الخطابة, ص/ ١٦.

[٦٤] – ينظر: الاتصال الخطابي وفن الاقناع, ص/ ٢٣٣.

[٦٥] – ينظر: فاعلية السياق في تأويل الخطاب, (رسالة ماجستير), ص /٤٦.

[٦٦] – الزهر الشقي, ص/١٣٨– ١٣٩.

[٦٧] – ينظر: مفعلات التواصل ومعوقاته في ضوء نظرية جاكسبون, (بحث), ص/٢٣٩.

[٦٨] – الزهر الشقي, ص/١٣٩– ١٤٠.

[٦٩] – ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى, ص/ ١٣٥.

[٧٠] – الصواب: (إذًا).

[٧١] – الزهر الشقي, ص/٩٢–٩٣.

[٧٢] – ينظر: تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء نظرية التداولية, ص/٣٧.

[٧٣] – المفتون, ص/ ١٦٦.

[٧٤] – ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة, ص/ ١٨٣.

[٧٥] – ينظر: المصدر نفسه ص/ ١٩٣.

[٧٦] – الصواب: (من الضروري أن تكتب).

[٧٧] – الصواب: (يقرؤوا).

[٧٨] – الزهر الشقي, ص/ ١٤٧.

[٧٩] – ينظر: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة, ص/ ١٠٩, الخطاب الاقناعيّ العربي المعاصر بين المتكلم والمخاطب, ص/ ٥٨٠.

المصادر والمراجع

١.الاتصال الخطابي وفن الاقناع, كريمة أحسن شعبان, دار اسامة للنشر والتوزيع, الاردن, عمان, ط١, ٢٠١٥م.

٢.استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية), عبد الهادي بن ظافر الشهري, دار الكتاب الجديد المتحدة, دار الكتب الوطنية بنغازي – ليبيا, ط١, ٢٠٠٤م.

٣. الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية , محمد الولي, دار الامان, الرباط, ٢٠٠٦م,.

٤.أسلوبية الحجاج التداوليّ والبلاغيّ (تنظير وتطبيق على السور المكية), مثنى كاظم صادق, منشورات الضفاف, ٢٠١٥م.

٥.الاقناع في قصة ابراهيم عليه السلام, مقاربة تداولية, بوصلاح فايز (رسالة ماجستير), الجمهورية الجزائرية, ٢٠١٠م.

٦. الاقناع والاقتناع في شعر ابي فراس الحمدانيّ (مقاربة تداولية), عمار لعويجي, جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥, سكيكدة, بحث منشور على شبكة الانترنيت.

٧.اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, أشراف حمادي صمود, كلية الآداب, منوبة, تونس.

٨. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول, محمد العمري, أفريقيا الشرق, المغرب, الدار البيضاء, ٢٠٠٥م.

٩. بلاغة الجمهور(مفاهيم وتطبيقات), تحرير وتقديم, د. صلاح حسن حاوي , د. عبد الوهاب صدّيقي, دار شهريار, البصرة, ٢٠١٧م.

١٠. تاريخ نظريات الحجاج, فيليب بروتون, جيل جوتيه, ترجمة: د. محمد صالح الغامديّ, مركز النشر العلميّ, جدة, ط١, ١٤٣٢هـ.

١١.تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي (محمود شاكر انموذجًا), حمدي النورج, القاهرة, عالم الكتب, ط١, ٢٠١٤م.

١٢.تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة, آمنة بلّعلي, الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣. تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء نظرية التداولية, عمر بالخير, منشورات الاختلاف, الجزائر, ط١, ٢٠٠٣م.

١٤.تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظريّة المسالك والغايات, د. محمد محمد يونس علي, دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع, ط١, ٢٠١٦م.
١٥. التداولية والحجاج(مداخل ونصوص), صابر حباشة, صفحات للدراسات والنشر, دمشق, ط١, ٢٠٠٨م.
١٦. التواصل بين الاقناع والتطويع, مقال منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه وتطبيقيه في البلاغة الجديدة, حافظ اسماعيلي علوي, ج١, الحجاج حدود وتعريفات, عالم الكتب الحديث, إربد, الاردن, ط١, ٢٠١٠م).
١٧.الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجًا(دراسة تحليلية), د. عبد العالي قادا, كنوز المعرفة, ط١, ٢٠١٥م.
١٨.الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية, عبدالله صولة, بيروت, لبنان, الفارابي, ٢٠٠١م.
١٩. حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه, د. الزماني كمال, عالم الكتب حديث, إربد, الأردن, ط١, ٢٠٠٤م.
٢٠.الخطاب الاقناعيّ العربي المعاصر بين المتكلم والمخاطب, عبد الجليل غزالة, حروف منثورة للنشر الالكتروني, ط١, ٢٠١٧م.
٢١. الخطابة, ارسطو, ترجمة: عبد القادر قينيني, فريقيا الشرق, ٢٠٠٨م.
٢٢.الدَّرْس الحِجاجيّ في نظريّة تحليل الخطاب (دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف من خلال تفسير ابن عاشور), خالد حسين دلكي, المنارة، المجلد ٢١، ع ٣،٢٠١٥م.
٢٣. السخرية في الخطاب اللسانيّ الحديث, د. عبد الوهاب صدّيقي, أبحاث في الفكاهة والسخرية, الورشة الخامسة, منشورات جامعة ابن ازهر أكادير, دار أبي رقراق الرباط.
٢٤. السلالم الحجاجية في القصص القرآنيّ(مقاربة تداولية), بوسلاح فايزة, (اطروحة دكتوراه), ٢٠١٥م.
٢٥.الشخصية الروائية عند عزيز السيد جاسم (عوالم متأرجحة ومتصارعة), علوان السلمان, مقال منشور على شبكة الانترنيت.
٢٦. الصلة بين التمثيل والاستنباط, بناصر البعزاتي, بحث منشور ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه, تنسيق: حمو النقاريّ, مطبعة النجاح الجديدة , الدار البيضاء, ط٢٠٠٦م.

٢٧.العوامل الحجاجية في شعر البردوني(النفي انموذجًا), ألطاف إسماعيل أحمد الشامي, ع٤٣, ٢٠١٥م.
٢٨. فاعلية السياق في تأويل الخطاب, شرفاوي سهيلة (رسالة ماجستير), الجمهورية الجزائرية, جامعة الجزائر,٢٠١١م.
٢٩.الفكاهة والضحك رؤية جديدة , د. شاكر عبد الحميد , سلسلة كتب عالم المعرفة , الكويت, ع٢٨٩, يناير, ٢٠٠٣م).
٣٠.في بلاغة الخطاب الاقناعيّ (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية), محمد العمري, افريقيا الشرق, بيروت – لبنان, ٢٠٠٢م.
٣١.في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) , عبد الله صوله, مسكيلياني للنشر والتوزيع, نهج فلسطين– تونس, ط١, ٢٠١١م.
٣٢.القاموس الموسوعيّ للتداوليّة, جاك موشلر, آن ريبول, ترجمة مجموعة من الاساتذة والباحثين من الجامعات التونسية, بإشراف عز الين المجدوب, منشورات دار سيناترا– المركز الوطني للترجمة, تونس, ٢٠١٠م.
٣٣.اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ, د.طه عبد الرحمن, المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، ط١, ١٩٨٨م.
٣٤.اللسانيات والحجاج (الحجاج المغالط نحو مقاربة لسانية وظيفية), اسماعيلي علوي, ومحمد أسيداه, مقال منشور ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة), حافظ إسماعيلي علوي, ج٣, الحجاج وحوار التخصصات, عالم الكتب الحديث, إربد, الاردن, ط١, ٢٠١٠م).
٣٥.اللغة والحجاج, أبو بكر العزاوي, العمدة في الطبع, ط١, ٢٠٠٦م.
٣٦.المبدأ الحواري, تزفتيان تودوروف , ترجمة: فخري صالح , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد ١٩٩٢م.
٣٧. المخاطب والمعطيات السياقية في كتاب سيبويه, خالد بسندي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مؤتة، مجلد ٨، ع ٢، ٢٠١٢م.
٣٨.مصطلحات سياسية ومعانيها, سليمان بن صالح الخراشي, مقال منشور على الانترنيت على الرابط التالي: http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/mm/١٥.htm

٣٩.المظاهر اللغوية للحجاج (مدخل الى الحجاجيات اللسانية), رشيد الراضي, المركز الثقافيّ العربيّ.
٤٠. معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب, مجدي وهبة , كامل المهندس, مكتبة لبنان, بيروت, ط٢, ١٩٨٤م.
٤١. المعنى وظلال المعنى(انظمة الدلالة في العربية), محمد محمد يونس علي, دار المدار الاسلامي, ط٢, ٢٠٠٧م.
٤٢. المفتون, عزيز السيد جاسم,(رواية), ١٩٨٧م.
٤٣. مفعلات التواصل ومعوقاته في ضوء نظرية جاكسبون, حيدر فاضل عباس, مجلة الآداب, ع١١, ٢٠١٤م.
٤٤.المناضل, عزيز السيد جاسم,(رواية), دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, ط١, ١٩٧٢م.
٤٥.مناهج الدراسات الادبية من التاريخ إلى الحجاج, د. حسن مسكين, مؤسسة الرحاب الحديثة, ط١, ٢٠١٠م.
٤٦.السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية, د. عهود عبد الواحد, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, الاردن, ١٩٩٩م.
٤٧.النص الحجاجيّ العربيّ(دراسة في وسائل الاقناع), محمد العبد, مجلة فصول, ع٦٠, ٢٠٠٢م).
٤٨.النص والخطاب قراءة في علوم القرآن, محمد عبد الباسط عيد, صلاح رزق, مكتبة الآداب, ط١, ٢٠٠٩م.
٤٩.نظرية التلقي بين ياوس وأيزر, عبد الناصر حسن محمد , دار النهضة العربية, ط٢٠٠٢م.
٥٠.نظرية الحجاج في اللغة, شكري مبخوت, بحث منشور ضمن كتاب اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, أشراف حمادي صمود, كلية الآداب, منوبة, تونس.
٥١. النظرية الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقية واللسانية محمد طروس, دار الثقافة، ط١, المغرب, ٢٠٠٥م.
٥٢. نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز, فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(ت٦٠٠هـ), علق عليه: د. نصر الله حاجي مفتي أوعلى, دار صادر, بيروت, ط١, ٢٠٠٤م.